

تربية القابليات \ العقل والروح

ان التربية تختلف عن الصناعة بفارق اساسي وهو ان الصناعة تجعل الشيء خاضع لما يريد الانسان في حين ان التربية احياء القابليات الباطنية الموجودة بالقوة واخراجها الى الفعلية ولهذا لا تكون التربية الا في موارد الاحياء (الانسان والحيوان والنبات) وتستخدم فيما عدا ذلك مجازا. فالتربية لا بد ان تكون تابعة للفطرة اي تتبع طبيعة الشيء وفطرته والسعي الى احياء القابلية واطهارها من خلال الاستعدادات والقابليات الكامنة فالانسان يتعلم الاشياء لملاءمتها لطبيعته الفطرية لتلك الاشياء.

جاء الرسول محمد (ص) مبعوثا للناس كافة، والله عز وجل ابسط القول في القران الكريم مؤكداً على الاهتمام بالانسان واضعاً اياه في المقام الاول كما ان القران المجيد لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا وحصاها وبالتالي خالفنا العظيم لا يترك شيئاً دون ان يضع له مقدار ووزناً فقد راعى التوازن في الخلق ونظر بنظرة شمولية الانسان روحاً وجسداً واكد على القيم المؤثرة والعوامل المادية التي تساعدنا لأخراج الصورة المتكاملة التي يدعو اليها الدين الاسلامي، وقد تبنت التربية هذا الموضوع وتداخلت مع الروح في الصقل ومع العقل بالمرجعية والخبرة والحكم، لقد خلق الله عز وجل العقل مخاطباً اياه "ما خلقت خلقاً افضل منك بك اعرف وبك وبك اثيب وبك اعاقب" ومنها جاءت المنزلة والاهمية لما له من ادراك وتميز.

فإذا كان العقل يعني عقل الامور وأمساك بزمامها فكيف يتم ذلك؟ ما مادة العقل؟ ما العوامل المؤثرة فيه؟ هل العقل للتخزين فقط؟ وسؤالنا المهم كيف نربي العقل؟ هل يحتاج الى تربية بمعنى المصطلح.

ان نظرتنا ستميل الى الاراء الاسلاميه في هذا الموضوع لان عنوان مقررنا يدفعنا الى هذا الاتجاه مع احترامنا ونظرتنا بموضوعية لما تطرحه بقية الاديان والثقافات.

ان تربية العقل يجب ان تخطو نحو تربية فكرية ابتكارية لاتعتمد على الحشو فقط، فالعلم المستقى ليكون المادة يجب ان يكون على قدر عالٍ من الجدية والمنهجية يعلق في النفس ويؤثر في توجيهها نحو السلوك الامثل.

لقد اكد القران الكريم على العقل متناولاً اللفظة وما يرادفها (عقل، لب، الباب، يعقلون، يتفكرون، يبصرون) هنالك الكثير ممن يرون في القران الكريم سرداً لأحداث وتاريخ امم غابرة ولكننا نرى حتى في سرده التحليل او التركيب او الوصف او الاستنباط فهو يدعو في كل صورة الى امعان الفكر "قدح العقل"

كما الح الاسلام على التعلم واثنى على العلماء واثار الى الكثير من الظواهر العلمية لأنه يرى ان العلم مادة العقل وان المعرفة لاتحصل الا بفهم العقل للمعلومات المقدمة الية، فالأمام موسى ابن جعفر عليه السلام يرى لزوم اقتران العقل والعلم اي انهما متلازمان فأذا كان لدينا مصنع وليس لدينا المادة الخام، فما الانتاج المتوقع؟ ومن بين تلك العلوم اكد الاسلام على التفقه في الدين فيه نعرف حدود الله عز وجل ويتمكن

العقل وتتروض النفس فتتبين الحدود لكي لا يخلو عمل من النية لله والطاعة له فحين رأى الامام علي (عليه السلام) ان الله اولى بالعبادة كانت تلك الرؤية متأتية من بصيرة وتمحيص عقليين مبنية على اسباب واسس متينة اثبتتها الله عز وجل في دقائق خلقه وادراكها العقل المبصر القادر على استخلاص النتائج فالعقل غربال يعرف به المحاسن والقبح والجيد من الرديء لذلك قوله تعالى "فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب" الزمر/ ٢٠

فالاستماع للقول واتباع الحسن منه دلالة على التحميص والتدقيق وترجيح ما يناسب العقل فأصحاب الفهم والعقل مباشرة من الله جل جلاله.

لقد استخدم العقل في السابق لنبذ العادات الاجتماعية من خلال الدعوة للتفكير والتمييز حيث جاء الاسلام داعياً الى الخروج من عادات التقليد الى عادات التفكير والتمييز في دعوته الى اصلاح الذات والانطلاق الى اصلاح المجتمع كما في قوله تعالى "وأذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما افينا عليه ابائنا أو لو كان ابائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون" البقرة/ ١٧١ فأذا اراد الانسان التحرر فعليه بالعقل اي التربية على وفق المنهج الصحيح. ان تربية العقل تعني بصورة اشمل تربية الانسان، الا الاسلام لم يختصرتاكيده على العقل على الرغم من اهميته فالاسلام نظرتة شمولية ودعوته تكاملية ومثلما تناول مصطلح العقل واعطى مفهومه وابعاده اشار الى الروح اما بالتصريح والتلميح في الكثير من الآيات القرآنية وعلى الرغم من ان الروح من علم ربي كمعرفة مادية بالنسبة الى الله عز وجل وليس لنا الا اننا ننظر الى مادة الروح اي المتعلقات المعنوية التي تعطيها ابعادها ومفهومها يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم "عليكم بترويح القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب اذا كلت ملت" كما انطلق الامام علي عليه السلام في قوله "ان للقلوب شهوة وأقبال وأدباراً فأتوها من قبل شهوتها وأقبالها فإن القلب اذا أكره عمي" نهج البلاغة ج ١/ ١٣٣. وقد يكون القصد من القلب هنا الروح فالاسلام يريد للروح النشاط والتجدد حتى تستطيع المواصلة ان اعطاء الروح فسحة دون ممارسة الضغط عليها كما يفعل بعض الاهد احياناً ليست بالقليلة فتخويف وترهيب الاطفال ظنا منهم انهما من عوامل تربية القابليات ولكن الصحيح يمكن ان يكون من عوامل الردع أو الحد من بعض الأخطاء ولكنهما ليسا بعاملين للتربية فالقابليات تحتاج لمن يوقظها لا لمن يخدمها .

وسؤالنا المطروح هنا هل هنالك وقت معين لتربية الروح؟ ان الانسان يستمر في عملية التربية مادام يستنشق الهواء ولكن هنالك لبنات يجب ارساءها ومن ثم البناء عليها وقد حدد الكثير من العلماء بدايات تفتح الروح وأستعدادها من السابعة الى سن الثلاثين اذ ان الوعي والادراك والفهم والخبرة والمسير نحو الرشد يوماً بعد يوم ودخول ثقافات جديدة في منظومة الثقافية للفرد والافكار المضافة الى افكاره ونمو احساساته وعواطفه وزيادة الوعي الديني والعلمي كل هذه الامور او المحفزات تجعل الوقت المحدد هو في الاغلب الافضل في استيثار استعدادات وتوجيهها نحو الخطة الموضوعية لتنمية الانسان.

